التحول الريفي/ الحضري والتحديات المجالية
دراسة حالة مركز مولاي عبد الله

إعداد

اجنيخات زكرياء خالد الأمراني
كلية الآداب والعلوم الانسانية - عين الشق - الدار البيضاء – المغرب

Doi : 10.21608/jasg.2019.43496

استلام البحث : ٢٢ / ١ /٢٠١٩ قبول النشر: ٢ / ٣ / ٢٠١٩

المستخلص :
ترتبط هذه المداخلة بإشكالية التحول المجالي التي يشهدها مركز مولاي عبد الله المتاخم لمدينة الجديدة، والذي يبعد عنها بحوالي ٧ لكم جنوبا، حيث تحول من مركز قروي إلى مركز صاعد شبه حضري يتجاوز سكانه ١٢٠٠٠ نسمة، وهو ما ترتبت عنه مجموعة من التحولات المجالية العميقة، وطرح مجموعة من التحديات الاجتماعية والاقتصادية، وسنبرز في هذا المقال أهم التحولات الاقتصادية التي شهدها مركز مولاي عبد الله على مدار الفترة ما بين ١٩٨٢ و ٢٠١٤، وانعكاساتها على التنمية البشرية داخل، باستخدام منهج وصفي تحليلي متكامل، بتطبيق الاستمارة على عينة شملت ٤٥٠ رب أسرة، وذلك لرصد مختلف التحولات التي شهدها هذا المركز الناشئ.

- **كلمات مفتاحية** : مركز ناشئ، دينامية مجالية، تنظيم مجالي، تدبير مندمج.

مقدمة

ينتمي مركز مولاي عبد الله ترابيا لإقليم الجديدة، وهو من بين المراكز الناشئة والصاعدة المهمة بالإقليم، نظرا لموقعه الاستراتيجي المهم، المطل على البحر والقريب من مدينة الجديدة، وتتميز جماعة مولاي عبد الله بموارد مالية مهمة، نتيجة لتوطين عشرات الوحدات الصناعية بتراب الجماعة منذ سنة ١٩٨٢، وهو ما خلق مجموعة من التحولات الاقتصادية والمجالية الكبرى بالمركز.

ولكن رغم هذه المؤهلات والموارد الكبرى التي تتوافر في هذا المركز الناشئ، والمرتبطة أساسا بعائدات الضرائب، فإنه لا زال يعيش في ظل عجز تنموي حاد، يتجلى في غياب أبسط الخدمات وخاصة الصحية

والاجتماعية والثقافية، وتدهور على مستوى البنية التحتية، حيث تبقى طرق المواصلات ووسائل النقل غير كافية وتجهيزات الماء والكهرباء غير معممة، بالإضافة الى استفحال ظاهرة السكن العشوائي، والتي تجعل هذا المجال يطغى عليه الطابع القروي العشوائي أكثر منه طابعا حضريا.

وقد شكلت هذه المفارقة، منطلقا لدراستنا حول هذا المركز المهم بموارده ومؤهلاته، قصد تشخيص الحالة العامة للوضع الاقتصادي والاجتماعي، وكشف التناقضات المجالية وأسبابها، وسبل النهوض بالمركز وتأهيله، ليقوم بدوره المجالي كمركز تنموي محلي، مع تقديم مقترح لوضع تصور عام حول التنمية الشاملة لهذا المركز، أي نهج تدبير يأخذ بعين الاعتبار الابعاد البيئية والتنموية والاقتصادية والاجتماعية.

وسنعتمد منهجا وصفيا تحليليا، مع استكمال الدراسة بالعمل الميداني، القائم على الاستمارات والمقابلات والزيارة الميدانية المتكررة، لتتبع الوضعية العامة للمركز، وهو ما سيمكننا من تشخيص مظاهر الهشاشة المجالية وأسبابها، و ضبط المفارقات الكبرى التي يعيشها هذا المركز.

١. ظاهرة المراكز الناشئة

١,١.تعريف المراكز الناشئة

ظهر مصطلح المراكز الناشئة "Centres émergents" في السنوات الأخيرة، للتعبير عن التجمعات السكانية ،التي لم تصل إلى درجة أو مستوى المدينة، والتي عرفت دينامية كبيرة على مستوى عدد السكان، والتعمير والبنية التحتية، ويعبر المصطلح عن مرحلة التحول والانتقال من مركز قروي إلى مركز حضري، يشهد ارتفاعا مهما في عدد السكان، وتحسنا في البنية التحتية والخدمات، وارتفاعا في الكثافة السكانية، كما يشهد تغييرا مهما في البنية الديموغرافية، وذلك على المستوى العمري والمهني والاجتماعي، وتحولا مهما في الأنشطة الاقتصادية، من خلال الانتقال من الفلاحة إلى أنشطة غير فلاحية حديثة، كالخدمات والتجارة والصناعة، وهي أنشطة كفيلة بخلق فرص الشغل لسكان المركز والأرياف المجاورة له، وتستفيد المراكز الناشئة من عدة مؤهلات بشرية واقتصادية وطبيعية تساهم في نموها، مما يساهم في خلق دينامية قوية بالمركز ، تجعله يتحول من المعالم الريفية إلى المعالم الحضرية.

١,٢.مراحل نمو المراكز الناشئة : دراسة حالة مولاي عبد الله

ينتمي مركز مولا عبد الله إلى اقليم الجديدة، الذي ينتمي بدوره الى جهة الدار البيضاء سطات، وتمتد هذه الجهة في الواجهة الغربية الوسطى على السواحل الأطلنتية للمغرب، ويبعد مركز مولاي عبد الله بحوالي ٧ كيلومترات عن مدينة الجديدة، ويضم ساكنة مهمة، حيث تجاوزت ساكنة جماعة مولاي عبد الله حوالي

٧٤٠٠٠ نسمة سنة ٢٠١٤، وحوالي ١٢٠٠٠ نسمة داخل المركز حسب الاحصائيات الأخيرة.

خريطة رقم: ١

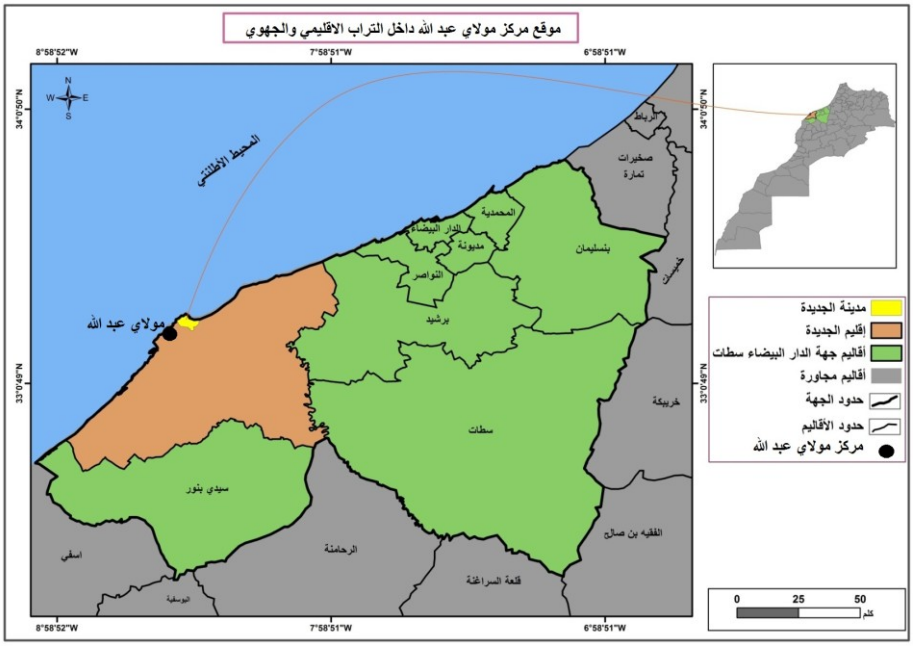

وقد ساعد هذا الموقع المتميز على خلق دينامية قوية داخل مركز مولاي عبد الله حيث يستفيد من انفتاحه على البحر وقربه من المدن الكبرى كمدينة الجديدة والدار البيضاء والرباط، وهو ما ساعد على خلق حركية اقتصادية وبشرية مهمة بهذا المركز. ومر نمو مركز مولاي عبد الله من ثلاثة مراحل، تميزت كل مرحلة بخصائص معينة، حيث انتقل هذ المركز من مركز قروي إلى مركز عمراني حديث، يضم ساكنة مهمة وأنشطة اقتصادي غير فلاحية.

خريطة رقم: ٢

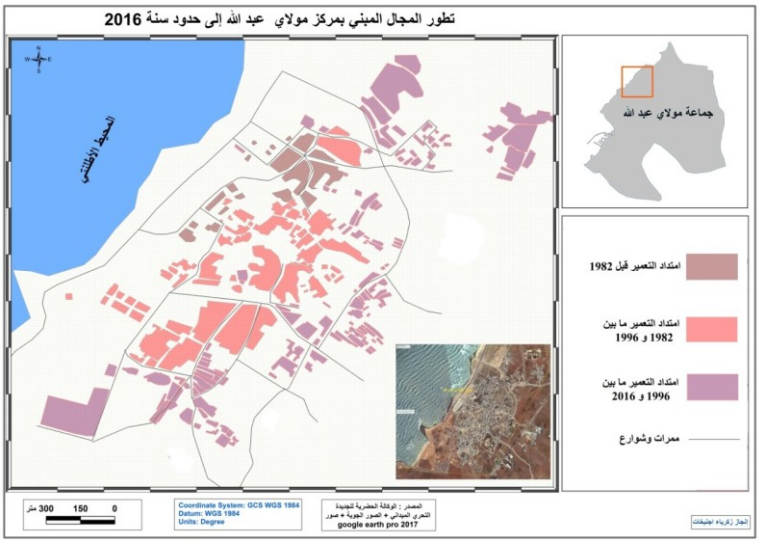

تمتد المرحلة الأولى ما قبل سنة ١٩٨٢، حيث تشكل مركز قروي مرتبط بالفلاحة، وتميز المركز الناشئ في المرحلة الأولى، بتشكل نواة محلية صغيرة، عبارة عن مركز للجماعة القروية، يتكون من بعض الوحدات السكنية، التي ظهرت قرب السوق الاسبوعي و الزاوية و الضريح، مع كثافة سكانية ضعيفة، وبالموازاة مع ذلك ظهرت وتشكلت مجموعة من الوحدات التجارية المختلفة، لتلبية حاجيات السكان القرويين، فتشكلت علاقة تكامل إقليمي بين المركز والساكنة القروية، كما ازدادت الحركية سكانية وخاصة خلال فترة السوق الأسبوعي، قصد تلبية الحاجيات الضرورية من السوق الأسبوعي، أما على مستوى البنية التحتية والتجهيزية، فقد ظلت ضعيفة، مع نقص حاد في كل الخدمات التعليمية والصحية والثقافية.

وقد شكل السوق الأسبوعي أحد العوامل الرئيسية في تشكل هذا المركز الناشئ، حيث أن تعاقب تنظيم السوق أسبوعيا، ساهم في ظهور حركية تجارية و عمرانية مهمة، تطور مع مرور الوقت وساهمت في ظهور عدة أنشطة جانبية، أما على مستوى الأنشطة فظل المركز في هذه المرحلة مرتبطا بالفلاحة، وخاضعا للنشاط الفلاحي، حيث أن ساكنته غالبا ظلت مرتبطة بالمجال الريفي.

وتشكل المرحلة الثانية، فترة انتقالية وسطى، والتي امتدت ما بين سنتي ١٩٨٢ و ١٩٩٦، وفي هذه المرحلة سيشهد المركز دينامية مهمة، حيث بدأت عملية إنجاز الخدمات، كالطرق والمستوصف والمدارس والمصالح الإدارية و مصالح السلطات المحلية، وهو ما أعطى قفزة نوعية وكمية، في مسار تشكيل الهيكل

الإداري والخدماتي لهذا المركز، حيث شهد دينامية عمرانية كبيرة، تجلت في توسع المباني والمنشآت البشرية المختلفة، وغالبا ما تمت بشكل عشوائي وبشكل خطي على جانب طرق المواصلات، كما شهد المركز بعض الهجرات القروية نحو المركز، و تزايدا في السكان وارتفاعا في الكثافة السكانية.

وخلال المرحلة الثالثة التي انطلقت سنة ١٩٩٦، فقد تشكل ونمى مركز مولاي عبد الله بقوة، ففي المرحلة شهد المركز ظهور فئة من العمال والموظفين في المصالح الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، مما ساهم في جلب مجموعة من الخدمات، وتدفق مجموعة من المشاريع والمرافق العمومية داخل المركز ، كما اتسعت قاعدة السكن وازداد الطلب على السكن والخدمات الاجتماعية.

و قد بدأ المركز في التحول والابتعاد عن الهوية الفلاحية تدريجيا، والارتباط بوظائف جديدة، كالتجارة و التصنيع و السياحة، وذلك حسب مخططات الدولة أو المجالس الجماعية، الأمر الذي أدى إلى جلب أعداد متزايدة من السكان للاستقرار بالمركز ، كل هذه العناصر ساهمت في تحول المركز القروي إلى مركز ناشئ.

٣,١. الأهمية البشرية والاقتصادية لمركز مولاي عبد الله

هناك مجموعة من العوامل العامة، التي ساهمت في ظهور مركز مولاي عبد الله كمركز محلي مهم، باعتباره محورا أساسيا لتحقيق التنمية المجالية، وأداة لتحديث وتطوير وتجهيز المجال الريفي، ونذكر منها:

- النمو السكاني والهجرة القروية المتزايدة نحو هذه المركز، وهو ما ساهم في الاهتمام بهذا المركز وتقويته داخل المجال الجغرافي، حيث أصبح يشكل مجال حماية للمجال الحضري، من التدفق السكاني والهجرة القروية، وبالتالي أولت الجهات الوصية اهتماما كبيرا لهذا المجال، رغم نقص وتدهور التجهيزات والخدمات داخله.

- الدينامية التي شهدها على مستوى المرافق والبنية التحتية، ومن شأن تقوية هذا المركز وتأهيله، أن يساهم في التخفيف من مظاهر الأزمة في المجالات الريفية لمجاورة له.

- انفتاح هذا المركز على المجال العالمي، وتطور الاعلام والمبادلات الاقتصادية والتجارية الدولية، وتنامي العلاقات الدولية وتحرير التبادل التجاري، وخاصة مع الحركية الصناعية التي يشهدها هذا المركز، بسبب توطين القطب الصناعي بالجرف الاصفر، وهو ما ساهم في انفتاح هذا المركز على المجال العالمي، وربط علاقات متنوعة ومتعددة الأوجه، الأمر الذي ساهم في تنامي مكانته وتطوره وتحوله.

٢.مولاي عبد الله، مركز ناشئ في تحول مستمر

١,٢.نشأة مركز مولاي عبد الله

شكل مركز مولاي عبد الله إلى حدود الثمانينات مركزا قرويا صغيرا[١]، ينتمي إداريا وترابيا لإقليم الجديدة، على بعد حوالي ٧ كيلومترات جنوبا، وكان يتشكل قديما ي من مجموعة من الوحدات السكنية، الموزعة على تجمعات سكانية قروية صغرى، وقد بلغ سكانه سنة ١٩٧١ حوالي ٩٨٩ نسمة، أما في سنة ١٩٨٢ فوصل عدد سكانه إلى ١٥٧١ نسمة، وفي سنة ٢٠١٤ بلغ سكان مركز مولاي عبد الله حوالي ١٢٤٥٦ نسمة، وقد تم تحديد مركز مولاي عبد الله كمركز قروي إداريا من خلال المرسوم رقم ٢٨٨٣٢٣ الصادر في ٢٨ يونيو من سنة ١٩٨٨.

خريطة رقم ٣: موقع مركز مولاي عبد الله داخل جهة الدار البيضاء سطات

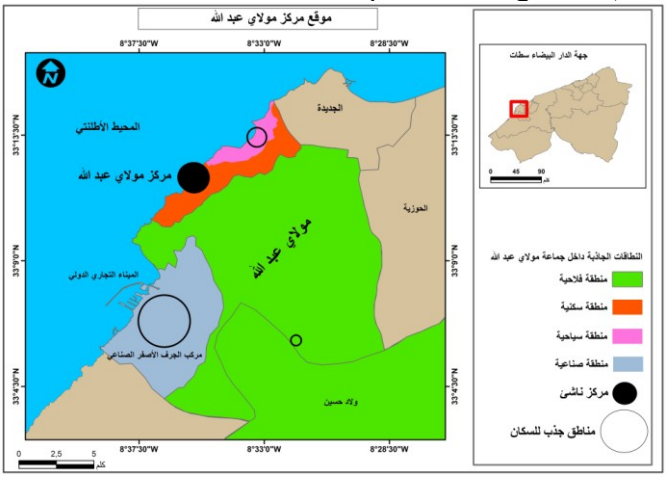

المصدر : التقسيم الاداري الجديدة لسنة ٢٠١٥ + العمل الميداني

يحتل هذا المركز موقعا مهما بالنسبة للمدن الكبرى المغربية، وقد ساعده هذا الموقع على التعمير مند القدم، لكن لتخريب الذي تعرض له موقع "تيط[٢]" التاريخي

[١] -FOSSET,R . NOIN,D: utilisation du sol et population dans les Doukkala , RGM n10, 1966, page 9 - 17

[٢] كانت مدينة تيط قديما، مركزا تجاريا مهما، شكل مخزنا كبيرا للحبوب، خلال القرن ١٦م (بوشرب أحمد، ١٩٨٣)، وقد ساعده في ذلك، اشتهار محيط مدينة الجديدة بزراعة الحبوب وتربية المواشي، وخاصة الابقار، ثم غراسة الكروم والبقليات وتربية النحل والصيد التقليدي (بولقطيب، ٢٠٠٠ ص ٥٠-٥٥)، ولا زال مركز مولاي عبد الله يتوفر على مؤشرات مهمة، تدل على قدم التعمير، من خلال تواجد السور التاريخي، والمسجد والضريح، وتوثق كلها لقدم التعمير، واستقرار

مند القدم، ساهم في تأخير دينامية التعمير بهذا المركز، بسبب توالي الحروب وغزو الاحتلال البرتغالي [٣] وغياب الأمن.

لكن إحياء الموسم والزاوية لعبا دورا كبيرا في دينامية هذا المركز، حيث شكل تنظيم الموسم الاحتفالي التاريخي "مولاي عبد الله أمغار" سنويا، عاملا للتعريف بالمركز وإشعاعه، وهو ما أدى إلى انطلاق حركية التعمير من جديد مند الستينيات، حيث انتشرت الوحدات السكنية حول الضريح وداخل السور التاريخي، واتخذت شكل سكن ريفي بمواد بناء بسيطة ودون تصميم هيكلي، وبعده اتسعت حركة التعمير على طول المحاور الطرقية وخارج السور.

٢,٢.دينامية مركز مولاي عبد الله

شهد مركز مولاي عبد الله مند الثمانينيات دينامية مهمة، وذلك على المستوى الديموغرافي والتعمير ، حيث تزايد سكان المركز بشكل سريع، بسبب ارتفاع معدل الخصوبة والهجرة القروية الكثيفة نحو المركز، وهكذا عرف مركز مولاي عبد الله الممتد جنوب مدينة الجديدة، توسعا عمرانيا قويا نظرا للجاذبية الكبيرة التي يمارسها الشاطئ والبحر على مختلف الانشطة العمرانية والاقتصادية، وهو ما أدى إلى احتدام المنافسة القوية على المجال واستخدام الأرض بين مختلف القطاعات والفاعلين في تدبير المجال، حيث برز نوع جديد من الصراع بين التعمير والصناعة، قصد التحكم في الموارد الترابية.

وساهم توطين مركب الجرف الاصفر الصناعي، والميناء التجاري الدولي بجماعة مولاي عبد الله، في خلق مجموعة من التحولات بالمركز، وذلك على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، إضافة إلى تأثيره الكبير من خلال توطين العديد من المؤسسات المالية والإدارية والتجارية بالمركز، وهو ما ساهم في خلق دينامية عمرانية قوية بمركز مولاي عبد الله، وتبين ذلك في توسع التعمير وظهور امتدادات سكنية حديثة.

وأمام هذه التطورات الإقتصادية والاجتماعية المتلاحقة التي مست المجال، أصبح هذا المركز يعرف إقبالا وتهافتا كبيرا، جعل المضاربات العقارية تحتدم ببقوة، بهدف إنشاء وحدات سكنية مختلفة، وهو مؤشر على جبهة تمدين حقيقية تحتاج إلى المراقبة والتخطيط، وذلك بإخضاعها لمخططات توجيه التهيئة العمرانية.

الانسان مند القدم، مما ساهم في تشكل المجال المحيط بمدينة الجديدة، على المستوى الديموغرافي والعمراني والاقتصادي.

[٣] احمد بوشرب: دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء اسفي وازمور، الطبعة الاولى، دار الثقافة، ١٩٨٤، الصفحة ٩١-٩٢

ولقد ساهم تزايد الاقبال على مركز مولاي عبد الله في ارتفاع أثمنة الأرض بشكل كبير، بسبب تزايد الاقبال على هذا المركز من فئات اجتماعية مختلفة.

شكل رقم ١: تطور ثمن الأرض بمركز مولاي عبد الله

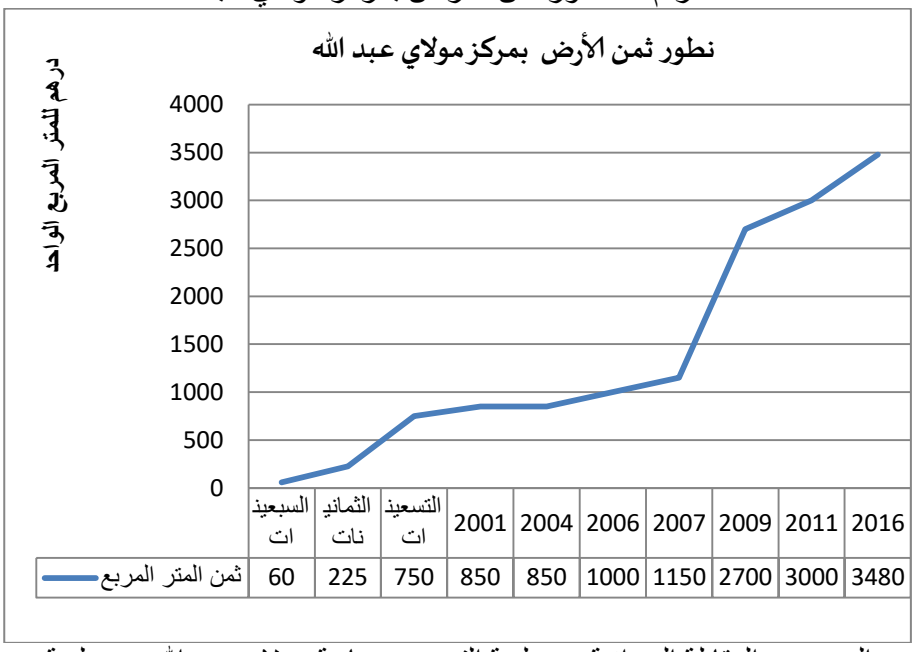

	السبعينات	الثمانينات	التسعينات	2001	2004	2006	2007	2009	2011	2016
ثمن المتر المربع	60	225	750	850	850	1000	1150	2700	3000	3480

المصدر :المقابلة الميدانية+ مصلحة التعمير بجماعة مولاي عبد الله+ مصلحة البيوعات، دار التسجيل بالجديدة

ويتضح من خلال الشكل، مدى الارتفاع الكبير الذي عرفته أثمنة الأرض بمركز مولاي عبد الله، فخلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، كانت عملية البيع تتم من أجل الاستثمار في النشاط الفلاحي، لذلك كانت أثمنة الأرض جد منخفضة، كما أن استعمال العقار كان محدودا، و لم تكن هناك منافسة على استعمال الأرض، والتي كانت تباع بوحدة "الهكتار" أو "الخدام".

لكن مع ظهور أنشطة التعمير والسياحة والتصنيع، فقد أصبح ثمن الأرض خاضعا لمعايير جديدة، مرتبطة بالهدف من العقار، وحجم الانشطة المتوطنة بالمجال، حيث تغير الرهان العقاري، وأصبحت الأرض تكتسب قيمة مجالية واقتصادية كبرى، ارتبطت بظهور أشكال استعمال جديدة وحديثة، أما على مستوى التعمير والسكن، فالمركز شهد توسعا كبيرا، رغم هيمنة السكن العشوائي، وذلك بسبب غياب المراقبة وتساهل السلطات المحلية، و غياب مخطط توجيهي للتعمير.

٣,٢.دور التصنيع في دينامية التعمير وتحول المشهد الجغرافي للمركز

شكلت سنة ١٩٨٢ بداية لدينامية التعمير بمركز مولاي عبد الله، وهو تاريخ اشتغال المركب الصناعي والتجاري بالجرف الاصفر، والذي خلق دينامية كبرى داخل المجال برمته، اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا وبيئيا، حيث ازدادت جاذبية مركز مولاي عبد الله، الذي استقبل عدة أسر بحثا عن العمل، والاستفادة من القرب من مدينة الجديدة، وقد تدفقت هجرة مهمة نحو المركز، من مناطق مختلف من المغرب، بحثا عن العمل والاستقرار .

خريطة رقم : ٤

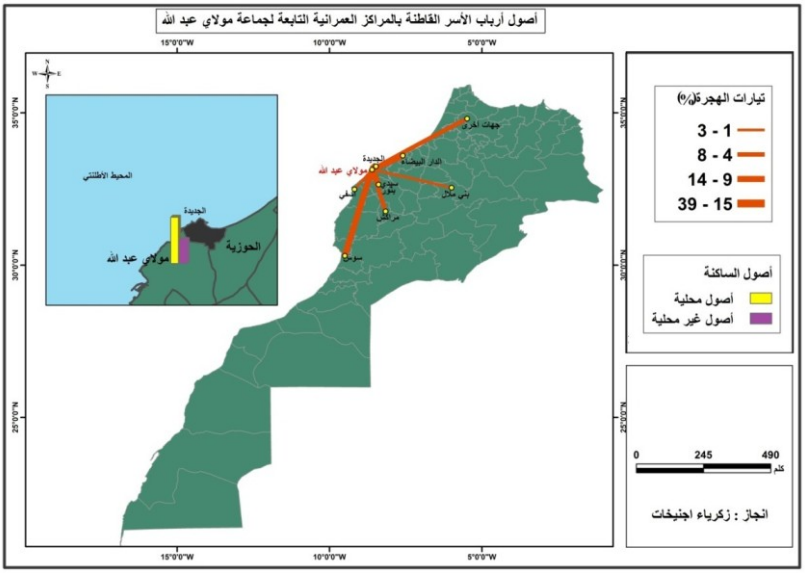

المصدر: نتائج البحث الميداني، ٢٠١٧

وتشكل الساكنة غير المحلية، المستقرة بمركز مولاي عبد الله، نسبة مهمة ضمن النسيج الديموغرافي لمركز مولاي عبد الله، حيث تمثل حوالي ١/٣ [٤] سكان المركز، ويعتبر إقليم الجديدة وسيدي بنور و منطقة سوس، من أهم روافد الهجرة نحو هذا المركز، وهو ما زاد في ارتفاع وثيرة التعمير وتوسع المجال المبني، وتستقر أغلب الأسر في هذا المجال بشكل رسمي ودائم.

[٤] نتائج المقابلة الميدانية

جدول رقم ١: صفة إقامة أرباب الأسر بمركزي مولاي عبد الله و اولاد الغضبان

صفة الإقامة	العدد	النسبة%
دائمة	388	88,99
مؤقتة	48	11,01
المجموع	436	100

المصدر: نتائج البحث الميداني ٢٠١٧

وبدأت عملية الاستقرار والتوسع العمراني في البداية داخل السور، من خلال عمليات الترميم والاصلاح، أو إضافة طوابق جديدة، وهو ما زاد من الكثافة السكانية داخل السور التاريخي، وخاصة بدوار "الدعيجات ودوار الحفضان"، ثم بعدها انتقل التعمير خارج السور، حيث بدأت عملية البناء بشكل سريع وعشوائي، مما أفرز نمطا عمرانيا يصعب تصنيفه ضمن السكن الحضري.

وهكذا شهد مركز مولاي عبد الله تطورا عمرانيا متواصلا وسريعا، وذلك بتوسع المجال المبني على حساب الأراضي الزراعية المجاورة، وتكثيف المباني والتوسع داخل الأحياء السكنية القديمة، وتكثيف البنايات قرب البحر، وعلى طول خط الساحل وطول الطريق الجهوية ٣٠٤ .

ويرتبط تطور وتشكيل النسيج العمراني لمركز مولاي عبد الله، بالنمو الديموغرافي السريع، واستمرار الهجرة نحو هذا المركز الناشئ، وذلك نظرا لجاذبيته الكبيرة المرتبطة بموقعه من مدينة الجديدة، ثم قربه من المنطقة الصناعية بالجرف الأصفر وجواره للمركز السياحي سيدي بوزيد، وهي كلها عوامل ساهمت في دينامية التعمير وتوسيع المجال المبني.

٣. مركز مولاي عبد الله: الحالة الراهنة وإشكالية الاندماج المجالي

١,٣.تشخيص الحالة العامة للمركز

بناء على نتائج البحث الميداني والوثائقي، تبين بالملموس أن مركز مولاي عبد الله يواجه صعوبات عديدة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث يواجه مشكل ارتفاع نسبة الأمية، إذ تصل في فئة الذكور إلى حوالي ٢٤% وفي صفوف الإناث تصل إلى ٤٥,٨%، وهي نسب تبين حدة الظاهرة واستفحالها في صفوف الساكنة، التي تنتمي في أغلبها لأصول قروية، حيث ظلت بعيدة كل البعد عن المدرسة، وخاصة في ظل غياب أو نقص المؤسسات التعليمية، أما الفئة المتعلمة فحوالي ١٥% لهم مستوى التعليم الأولي فقط، أما الذين لهم تعليم جامعي فلا تتجاوز نسبتهم ٥,١%.

وتعتبر ظاهرة البطالة من أهم التحديات الاجتماعية التي تواجه ساكنة المركز، وتصل في صفوف الإناث إلى حوالي ٢٥,٨%، مما ينعكس على الوضعية

الاجتماعية للأسر، حيث تصل نسبة الفقر إلى حوالي ٨%، أما الخدمات الصحية فتبقى دون تطلعات السكان، حيث أن مركز مولاي عبد الله رغم ديناميته و أهمية المداخيل المالية للجماعة، فإنه لا يتوفر على مستشفى للعلاج ولا يتجاوز عدد الاطباء ثلاثة أفراد، مع نقص حاد في التجهيزات، وهذه الأوضاع ساهمت في تدهور مؤشر التنمية البشرية الذي لم يتجاوز حوالي ٠,٤٧٨

ويتجلى تدهور الحالة العامة للمركز في هيمنة السكن العشوائي بالمركز، حيث أن أغلب الوحدات السكنية تبقى ضعيفة التجهيز، وغير خاضعة لتصميم موحد، وهو ما ينعكس على جمالية المركز، ويهمش مكانته المجالية داخل الاقليم، ويمكن التمييز بين نوعين من السكن داخل المركز.

فهناك السكن القانوني، وهو السكن المرخص له من طرف السلطات المحلية، ويحترم تصميم ومعايير البناء الرسمية، والذي يتم بعد الحصول على رخصة البناء أو الاصلاح، ويتوسع هذا النوع من التعمير ي في الجنوب، وعلى طول الطريق الجهوية والساحلية المارة بالمركز، أما البنايات القديمة فإنها بدأت تتلاشى ويتم تعويضها بمنازل حديثة.

وهكذا سيشهد المركز إقبالا كبيرا على السكن، قصد الاستقرار بهذا المركز، مما ساهم في خلق حركية عمرانية مهمة.

جدول رقم ٢: تطور الرخص الخاصة بالبناء بجماعة مولاي عبد الله ما بين ١٩٩٠ - ٢٠١٤

السنوات	أنواع الرخص			
	الاصلاح	البناء	السكن	إحداث تجزئة سكنية
١٩٩٠	٢	٣٧		-
١٩٩٢	٥	٦٦	٢٤	-
١٩٩٥	١٣	٧٣	٣٠	-
١٩٩٨	١٦٨	٨٣		-
٢٠٠٠	٢٧	٨٨	٤١	١
٢٠٠٤	٥٤	٩٥	٦٦	١٢
٢٠٠٨	١٧٢	١٣٠	٧٧	٦
٢٠٠٩	١٣٦	٩٩	٨١	٦
٢٠١١	٦٤	١٤٤	٤٠	١٥
٢٠١٤	٨٩	١٥٦	٧٢	١٠

المصدر: قسم مصلحة التعمير بعمالة الجديدة،٢٠١٦

ونلاحظ تزايدا في عدد الرخص المرتبط بالبناء والاصلاح بجماعة مولاي عبد الله، حيث أن رخص البناء وصلت سنة ٢٠٠٨ إلى ١٣٠ رخصة، وفي سنة ٢٠١٤ حوالي ١٥٦ رخصة، ونفس الشيء بالنسبة لرخص الاصلاح، التي تزايدت باستمرار، وهي مؤشرات تعبر عن دينامية التعمير التي يشهدها المجال، وهي دينامية من شأنها المساهمة في توسيع المجال المبني، واستمرار استهلاك الأراضي الفلاحية.

وبالإضافة إلى السكن القانوني نجد هناك أيضا السكن العشوائي، وهو النوع الأكثر انتشارا بمركز مولاي عبد الله، حيث أصبح يغطي مساحة واسعة داخل المركز العمراني مولاي عبد الله وبجواره، بسبب غياب المراقبة الصارمة للبنايات، وتساهل السلطات المسؤولة في كثير من الحالات، وهو ما ساهم في نمو عدة تجمعات عمرانية عشوائية داخل المركز وفي هوامشه.

صورتان رقم ١ و ٢ : مشهد للسكن العشوائي بمركز مولاي عبد الله

المصدر: عدسة الطالب الباحث، ١٦ أبريل ٢٠١٧

وقد انتشر هذا التعمير العشوائي غير الخاضع للتصميم ولا إلى المراقبة، داخل وفي هوامش المركز، وبالإضافة إلى انتشار السكن العشوائي داخل المركز وعلى

هوامشه، فقد انتشرت قرب المركز، على بعد كيلومترات، مجموعة من التجمعات العمرانية العشوائية، على شكل تجمعات عمرانية صغيرة، تضم عددا كبيرا من السكان، وهي تجمعات عمرانية عشوائية وكبيرة، تستفيد من ملاءمة أثمنة العقار لقدرتها الشرائية.

وخلفت هذه الدينامية العشوائية مجموعة من النتائج والانعكاسات على المجال، فبالإضافة إلى تشويه المنظر العام للمركز الناشئ، فهي تستهلك عشرات الهكتارات الزراعية، وتؤوي مئات الأسر، التي تعيش ظروفا صعبة، تنعكس على المحيط الاجتماعي العام، إضافة إلى ذلك فهذه الظاهرة تفسح المجال أمام سوق عقارية سوداء، واستفحال العشوائية والفوضى المجالية، والتهرب الضريبي واغتناء سماسرة ومتاجرين في هذا النوع من السكن غير الخاضع لقوانين التعمير.

وأما على مستوى البنية التحتية والخدمات بالمركز فهي تبقى محدودة، حيث أن عدد المؤسسات التعليمية يبقى محدودا، ولا يلبي الحاجيات المتزايدة للساكنة، كما أن المساحات الخضراء تبقى غائبة، في حين ان الشوارع والممرات فهي غير مجهزة و متدهورة، بسبب الاهمال وغياب سياسة تدبيرية جيدة، كما أن المركز يفتقر للفضاءات الترفيهية والتثقيفية، مع تدهور في شبكة النقل ونقص في خدمات النظافة، وهو ما انعكس على الوضع البيئي بالمركز، الذي يواجه تدهورا كبيرا في البيئة، بسبب مخلفات الجرف الاصفر الصناعية والنفايات المنزلية.

٢,٣.دور مركز مولاي عبد الله في التنمية الترابية

من بين الأدوار التي يمكن أن يلعبها هذا المركز، هو تقريب النموذج الحضري من الساكنة، وذلك من خلال تقريب البيئة الحضرية من ساكنة الارياف، والحد من الهجرة الريفية المستمرة، التي لا تزال تتدفق نحو المجال الحضري، كما أنه يمكن أن يشكل مجال التقاء وتداخل مجموعة من الفاعلين على المستوى المحلي، وتهيئ الظروف لظهور وبروز المبادرات الفردية والجماعية، من خلال تمكين الفاعلين الشباب والمحليين من تدبير الشأن العام المحلي، والنهوض بالأوضاع العامة للمركز، وكذا تحسين إطار عيش سكان هذا المركز والمجالات المحيطة به، عن طريق تقريب وتسهيل ولوج ساكنتها للخدمات والبنية التحتية.

ومن جهة أخرى، يمكن أن يلعب مراكز مولاي عبد الله دورا في تثمين الموارد الطبيعية، من خلال الحفاظ على الثروات الطبيعية، والتحكم في حمايتها ومراقبتها وتتبعها، ثم حماية الموارد البشرية، من خلال الاهتمام بالرأسمال الثقافي والاهتمام بالفئات الاجتماعية الهشة، وإدماج الشباب والنساء وحماية الحقوق، وتوفير الخدمات والنهوض بأوضاع المجتمع، وكذا التخفيف والحد من مؤشرات ومظاهر الهشاشة الاجتماعية، وخاصة في مجال خلق فرص الشغل في بعض الأنشطة

الاقتصادية، لسكان المركز وسكان المناطق المحيطة به، لتقوية التماسك الاجتماعي والمجالي.

كما أنه يشكل مجالا انتقاليا بين المدينة والقرى المجاورة، وبالتالي التخفيف من الضغط الذي تتعرض له مدينة الجديدة، نضف إلى ذلك دوره في إحداث توازن في التنمية بين المجالين القروي والحضري ،عن طريق تأهيل المناطق المتواجدة بجواره، وتوزيع ثمار النمو الاقتصادي، ثم التحكم كما وكيفا في النمو الحضري، وتحفيز التنمية القروية، وتلبية حاجيات المجال الريفي المجاور، بحيث أن المركز يشكل نقطة ارتكاز للتنمية الترابية، عن طريق خلق تكامل بين هذا المركز ومحيطه الريفي.

وعلى صعيد اخر ،يساهم صغر حجم هذا المركز، في تسهيل مأمورية التحكم في تطويره والنهوض به على كافة المستويات، على عكس المدينة التي تعاني من عدة مشاكل تصعب معالجتها وحلها،

كما يتسم هذ المركز بإطار عيش أفضل للعديد من الأسر، وعلى العموم، يمكن القول أن هذا المركز يشكل مجالا انتقاليا بين المدينة والمجال الريفي، ويمكن لهذا المركز أن يشكل صلة وصل بين المدينة والريف، إذا ما تم خلق توازن بين المجالات، وتمت المحافظة على الأدوار المنوطة بكل مجال، في إطار تنمية مجالية مندمجة ومتوازنة.

٣,٣.التبعية ومعوقات الاندماج المجالي بمركز مولاي عبد الله

يعتبر اندماج مركز مولاي عبد الله، في مجاله الاقليمي و الجهوي، من أهم الأهداف التي تنص عليها مخططات إعداد التراب، فلقد ازدادت جاذبية هذا المركز بقوة، نظرا لوظائفه الخدماتية والاقتصادية والإدارية، وقربه من مدينة الجديدة، وقربه من المؤسسات الصناعية الكبرى بمنطقة الجرف الاصفر، وتوسيع مجاله الشبه الحضري ، مما أدى إلى ارتفاع ساكنته بقوة.

وإذا كانت التقسيمات الجهوية لسنوات ١٩٧١ و١٩٩٧، قد اعتمدت على الاستقطاب الحضري كأولى العوامل المؤسسة للجهة، ومقارنة مع مقتضيات التقسيم الجهوي الحالي، فإن الاهتمام بالمراكز الناشئة، يعتبر خيارا استراتيجيا لتأهيل المجال، وخلق التوازنات بين مكونات التراب الاقليمي، من خلال توزيع المهام المجالية، وتوزيع عادل للسلع والخدمات والحركات البشرية والمعلومات والأموال، وهو ما سيساهم في النهوض بالمركز الناشئ مولاي عبد الله.

ويفرض هذا تعزيز قدرات مركز مولاي عبد الله الناشئ، ودعمه بالخدمات والبنية التحتية الأساسية، لرفع جاذبيته للسكان، وتشكيل بنية حضرية متكاملة، على مستوى الجهة وعلى مستوى اقليم الجديدة، ليشكل بذلك مجالا للانتقال المؤقت أو النهائي للساكنة القروية بالمنطقة.

وفي هذا الإطار، يمكن أن يلعب مركز مولاي عبد الله دورا رئيسيا في هذه الوظيفة، خاصة وأن الإسقاطات الديمغرافية، تبين استمرار نسبة النمو في هذه المراكز، وفي هذا الإطار يجب العمل على تمكين هذا المركز من لعب دوره التكاملي في التنمية الإقليمية الترابية، حيث لا يجب الاعتماد في تحقيق التنمية الجهوية على أقطاب تنمية منفردة، وإنما على محاور ومراكز تعتمد أسلوب المجالات ذات القدرة الاقتصادية، وهو ما يستلزم تأهيل هذا المركز لكي يتحقق التوازن والتكامل داخل المجال.

إن تفعيل دور مركز مولاي عبد الله في التنمية الجهوية، رهين بالتخلي على المنطق الذي تحكم في خلقه منذ الاستقلال، والذي لم يعتبر تنميته كهدف بحد ذاته، بقدر ما كان الهدف سياسيا بالأساس، باعتباره مجرد مجال لفرض سلطة الدولة ووجودها، على المستوى المحلي بالمناطق الريفية، واعتبار خلق هذا المركز وسيلة لبسط سلطة الدولة ونفودها ومراقبتها للمجال، وهو ما أضعف استفادتها من اللامركزية الإدارية، حيث استمرت في استغلال مجموعة من المرافق الإدارية المختلفة، التي أحدثت منذ مدة دون تجديدها أو دعمها بأخرى جديدة، لتغطية حاجيات الساكنة المحلية، وهو ما جعل دور اللامركزية الإدارية ضعيفا في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وبناء على ما سبق، يمكن القول أن مركز مولاي عبد الله، لا زال يعاني عزلة تامة، وتغييبا مجاليا كبيرا، حيث لا زال المركز ومحيطه القروي تابعين لجاذبية مدينة الجديدة، وخاصة في ظل التدهور الحاصل في البنية التحتية والتجهيزات والخدمات، وهو ما ساهم في إضعاف هذا المركز والحد من تنافسيته، رغم المؤهلات التي يتوفر عليها، مما يفرض تأهيل الموارد البشرية وتعزيز الحكامة والمسؤولية السياسية، ونهج أسلوب التذبير المحكم للمركز الناشئ مولاي عبد الله، خاصة وأن جماعة مولاي عبد الله، تتوفر على مداخيل مالية مهمة، بفضل انتشار الوحدات الصناعية داخل تراب جماعة مولاي عبد الله، في منطقة الجرف الاصفر، وهو ما يمكنها من ضخ ملايين الدراهم سنويا، لكن تأثيرها على التنمية المجالية يبقى شبه غائب، لاعتبارات مرتبطة بالحكامة و الشفافية والمحاسبة والتدبير الجيد للموارد، وغياب استراتيجية تنمية محكمة وفعالة.

٤,٣.دواعي تنمية و إدماج مركز مولاي عبد الله في مجاله الجهوي

شكل المجال الحضري لمدينة الجديدة والدار البيضاء طيلة سنوات مجال جذب للساكنة الريفية، بالنظر إلى الإمكانيات التي تتيحها هذه المدن الكبرى، سواء على مستوى التشغيل أو مستوى المعيشة، وتوفير المدراس للأبناء و تمكينهم من الخدمات الصحية والتجهيزات، وإذا كان المجال الحضري، قد تمكن بشكل نسبي من استيعاب هؤلاء المهاجرين، على الأقل خلال العقود التي تلت الاستقلال، فإنه بدءا من

الثمانينات أضحى المجال الحضري غير قادر على استيعاب الوفود المتتالية من المهاجرين ، في ظل تنامي مشاكل التمدين الناجمة عن الهجرة القروية، مثل انتشار أحياء الصفيح، البطالة والفقر وغيرها، وهو ما سيساهم في إحداث فراغ كبير في المجال الريفي، وتكدس متزايد داخل المدن، ويؤدي ذلك إلى ارتفاع أسعار العقار وتنامي المضاربات العقارية وتفاقم المشاكل الحضرية، مما سيساهم في ميلاد عدة مشاكل داخل المجال الحضري.

وإذا كانت الأسر القروية تجد في الدواوير العشوائية المجال الأكثر قابلية للاستقرار، بحكم ضعف قدرتها المادية، فإن تشديد المراقبة، خاصة بعد صدور قانون التعمير وتوالي حملات المراقبة، وارتفاع أثمنه الأراضي داخل الدواوير العشوائية، ساهم في تراجع طفيف في معدلات الهجرة القروية، ولا يمكن الحد من الهجرة دون تقريب النموذج الحضري إلى الأرياف، ومن هنا تأتي أهمية المراكز الناشئة، لأنها التجمعات الأكثر قابلية لتقريب النموذج الحضري للأرياف، والأكثر قدرة على توفير أنشطة كفيلة بإيجاد فرص الشغل للساكنة، وكذا أماكن للترفيه، ومنشآت كفيلة بتحقيق تطلعات الشباب القروي، من خلال خلق نوادي رياضية وفضاءات اجتماعية وثقافية متنوعة.

ومن جهة أخرى ستلعب هذه المراكز الناشئة دورا في تثمين الموارد الطبيعية والبشرية الموجودة بها، وكذا التخفيف والحد من مؤشرات ومظاهر الهشاشة الاجتماعية، خاصة في مجال خلق فرص الشغل في بعض الأنشطة الاقتصادية لسكانها وسكان المناطق المحيطة بها، لتقوية التكامل الاجتماعي والمجالي.

خلاصة عامة:

ختاما، يمكن القول أن الوضعية الراهنة لمركز مولاي عبد الله الناشئ قرب مدينة الجديدة، تفرض اعتماد نموذج جديد للتنمية المجالية، يجمع بين تأهيل هذا المركز و جعله قاطرة لتنمية المجال، وخدمة تطلعات الساكنة القروية المجاورة، خاصة وأن هذا المركز يتوفر على امكانيات ومؤهلات مهمة ومتنوعة، تتجلى في الموقع الجيد والتوفر على واجهة بحرية، والقرب من قطب صناعي كبير بالجرف الاصفر، ومن المنتجع السياحي سيدي بوزيد، وهي مؤهلات شكلت عناصر قوة لهذا المركز، لكن سوء التدبير المجالي، عرض المركز لمجموعة من المشاكل والاكراهات، جعلته مجالا هشا مهددا باستمرار الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، وهو مت يفرض وضع خطة استراتيجية، ذات مدى قصير ومدى بعيد لتحقيق التنمية المستدامة للجيل الحالي والمستقبلي، للنهوض بالمركز وتنميته و إدماجه محليا وجهويا ووطنيا.

المراجع المعتمدة باللغة العربية :

- احمد بوشرب: دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء اسفي وازمور، الطبعة الاولى، دار الثقافة، ١٩٨٤

- البكريوي عبد الرحمان،(١٩٨٦): الوثائق المعتمدة للتخطيط الحضري: إجراءاتها وفعاليتها؟،مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، العدد ١٢ ، منشورات كلية الحقوق

- الحسن بن محمد الوزان الفاسي،(١٩٨٣): وصف إفريقيا، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ودار الغرب الإسلامي

- الشياظمي محمد السباعي الحاجي،(٢٠٠٣): تاريخ مدينة تيط أو مولاي عبد الله امغار، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط

- بولقطيب الحسن، (٢٠٠٠): تيط: الرباط والمدينة، من خلال مخطوط بهجة الناظرين وأنس العارفين، لابن عبد العظيم الأزموري، ورد في [عنصر المجال والانسان] منشورات جامعة شعيب الدكالي بالجديدة، العدد الثاني

- هلال عبد المجيد،(٢٠٠٥): مظاهر تطور السكن الريفي بالمجال الجنوبي لمدينة الجديدة، ورد في السكن القروي: التحولات وافاق التنمية، سلسلة ندوات ومناظرات، العدد ١٠،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات جامعة ابي شعيب الدكالي

المراجع المعتمدة باللغة الفرنسية

-FOSSET,R . NOIN,D(1966): utilisation du sol et population dans les Doukkala , RGM n10

-MICHAUX,B.(1932): Azemmour et sa banlieue, Villes et Tribus des Maroc, mission scientifique du Maroc, volume XI, Tom II, paris, horné Chompion, éditeur, Editions Front Ispice, Rabat